

المثل السائر

وقد نثرت في هذا الموضوع أبياتا تكون قدوة للمتعلم .

فمن ذلك قلبي في فصل من فصول الكلام يتضمن ذكر السيادة وهو الشريف من شرف بنفسه لا بما دفن مع أبيه في رمسه فإن تلك مكارم أتت فتجمل الزمان بمأتاها ثم مات أربابها فدفنت مع موتها ولو ساد الناس بآبائهم لكانت السيادة للطينة الأولى ولقد خلق الأبناء من الآباء مجبولا وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر .

(وَ مَآ الْفَخْرُ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّ مَآ ... فَخَارُ الذِّي يَدْغِي
الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ) .

غير أن الفصل الذي ذكرته يتضمن من المعنى زيادة على ما تضمنه هذا البيت .
ومن ذلك ما كتبت في فصل من كتاب يتضمن معاتبة أخ لإخوته وتنصليهم فقلت جرحوا قلبي وحبهم يذهب بألم الجراحة وطرخوا عيني وهم يزيدون في نظرها ملاحه وإذا صدرت الإساءة عن الأحباب لم يكن وقرها وقرا وأصبحت وهي منسية إذا تجددت الإساءة بالذكرى وما منهم إلا من سيط دمي بدمه ولحمي بلحمه ولو أن الأسماء معارف الأشخاص لكان اسمي واردا على اسمه وكيف أخشن عليهم وقد جبلني الله لهم على اللين أم كيف أذود النفس عنهم وهي مشتقة منهم وآدم بين الماء والطين ومثى أوئل من شجرتي أغصانا كهذه الأغصان وقد أصيبت جرثومتها بالجداد ولهذا قيل إن الإخوة يتعذر الاعتياض عنهم ولا يتعذر الاعتياض عن الأولاد .

آخر هذا الفصل مأخوذ من شعر ابن الرومي وهو قوله .

(تَعَزَّيْتُ عَنْ أَثْمَرِ تَوَكُّحِيَاتِهِ ... وَوَشَّكُ التَّعَزِّي عَنْ ثَمَارِكِ
أَجْدَرُ) .

(تَعَذَّرَ أَنْ نَعْتَصِصَ عَنْ أُمِّهِاتِنَا ... وَأَبْنَائِنَا وَالذَّسْلُ لَا
يَتَعَذَّرُ) .

غير أن ابن الرومي ذكر ذلك في تعزية إنسان بابنه فتصرف أنا في هذا المعنى ونقلته إلى هذا الفصل في تضمنه معاتبته أخ لإخوته